

عمر وحقوق الأطفال



د. غازي مختار طليمات - سورية

ما أنت ضنينٌ، بل رزقٌ
الطويل: (مشيرا إلى صدره) «عمر» المسؤول
من بين جميع المعرضين
عن أنين الخلق
عن يؤس جميع البائسين
«عمر» المسؤول
فليذرف دموع الخائفين..
من حساب الله يوم الحشر ذرف الغافلين
أسلم: يا «أبا حفص»
وقاك الله إثم الآثمين
أنت لم تفعل
فلا تبك بكاء النادمين
لا، ولم تظلم
فلا يوجعك ذنب الظالمين
لم يحط علما بأحوال جميع المسلمين..
غير رب الكون
رب الخلق

الشاهد الأول

(يكشف الستار عن رجلين: أحدهما طويل أصلع مهيب
الطلعة، والآخر ربة، وهما يسيران ليلا قرب خيمة في طرف
المدينة، يصدر منها ضوء خافت من سراج غير وهاج).
الطويل: أصغ يا «أسلم»
ما تسمع؟
أصداء أنين
أسلم: تتمطى في فضاء الليل
تبكي السامعين
الطويل: لم لم تبك؟
ألم تسمع؟
بلى! دمعي ضنين
ليس في وجهي أجفان «أمير المؤمنين»
مع أن القلب في صدري بكاء حزين
يقترب الرجلان من الخيمة، فيعلو الصوت، وتسيل
العبرات من أجفان الرجل الطويل).
الطويل: ابك، أو لا تبك

رَبُّ الْعَالَمِينَ

(يبلغ الرجلان باب الخيمة، ويشتد صوت الأنين).

عمر: أَصْغَ

هَذَا الصَّوْتُ سَيْفٌ

حَزٌّ مِنْ قَلْبِي الْوَتِينِ

أَسْلَمَ: فِي الْوَرَى أَلْفٌ عَلِيلٍ

ذِي عَوِيلٍ وَرَنِينَ

أَفْتَبِكِيهِمْ؟

عمر: نَعَمْ، أَبْكِي الْبَرَايَا أَجْمَعِينَ

مِثْلَمَا أَبْكَيْتُهُمْ

مُذْ صَرْتُ لِلْحَكَمِ الرَّهِينِ

نَادَ مِنْ فِي الْخِيْمَةِ الثُّكْلَى نِدَاءَ الرَّاحِمِينَ

عَلَّنِي أَنْ أَغْسَلَ الذَّنْبَ بِتَوْبِ النَّائِبِينَ

أَسْلَمَ (وَهُوَ يَمِدُّ عُنْقَهُ إِلَى بَابِ الْخِيْمَةِ):

أَيُّهَا النَّائِحُ فِي الْخِيْمَةِ

أَدْمَيْتِ الْقُلُوبَ

مَا الَّذِي يَبْكِيكَ؟

أَفْصَحْ،

عَلَّنَا نَشْفِيكَ مِنْ دَاءِ الْكُرُوبِ

(تخرج من الخيمة امرأة منقبة الوجه، منتفخة

البطن، وهي تتناقل وتتهالك في مشيتها).

المرأة: أَنَا حُبْلَى

وَمَخَاضِي فَاجَأَ الْبَعْلَ

وَقَدْ رَاحَ يَلُوبُ

طَالِبًا قَابِلَةً

تَدْفَعُ مَا نَابَ

وَمَا سَوْفَ يَنْوِبُ

عمر: الزَّيْمِي خَدَرَكَ

عمر (متجهاً إلى أسلم): فَتَشَّ عَنْهُ فِي كُلِّ الدُّرُوبِ

وَأَعَدَّهُ يُؤْنَسُ الْمَاخِضَ

إِنْسَانَ الْقَرِينِ

وَسَأَتِيهَا بِمَنْ تَقْبَلُ يَا صَاحِبَ الْجَنِينِ

عمر (متجهاً إلى المرأة): ارْجِعِي، وَلْتَلْزِمِي خَدْرَكَ

إِنِّي بِالَّذِي قَلْتُ ضَمِينٌ

المرأة (وهي عائدة): أَيْنَ مَنْ يُنْمِي إِلَيَّ «الْخَطَابَ»

مِنْ هَذِي الْخُطُوبِ؟

عمر (وهو منصرف): أَطْمَئِنِّي

أَنَا بِالْعَوْنِ قَمِينٌ

وَدَّعِيَ اللَّوْمَ

فَلَنْ يَنْكُشَفَ الضَّرُّ بِلُومِ اللَّائِمِينَ

أَسْلَمَ (بعد انصراف عمر): بِئْسَ مَا قَلْتُ لِهَذَا الْكَهْلِ

المرأة: إِنِّي قَائِلَةٌ..

مَا يَقُولُ النَّاسُ إِنْ تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ نَازِلَةٌ

أَسْلَمَ: أَتُظَنِّينَ مَخَاضَ الْمَرْأَةِ الْحَامِلِ بِلَوَى هَائِلَةٍ؟

أَمْ تُظَنِّينَ أَمِيرَ النَّاسِ ظُئْرًا تَكْتَرِي

أَوْ قَابِلَةً؟

المرأة: لَا، وَلَكِنْ قِيلَ:

يَرَعَى كُلُّ مَوْلُودٍ فَطِيمٌ

أَسْلَمَ: صَدَقُوا

فَلْتَلْدِي، وَلْتَفْطِمِي

وَهُوَ بِمَا قِيلَ زَعِيمٌ

أَسْلَمَ (وهو منصرف): الزَّيْمِي الْخِيْمَةُ

وَلَأَبْحَثَ عَنِ الْهَائِمِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ

الشَّهَدُ الثَّانِي

(يكشف الستار عن حجرة رثة الأثاث، فيها شابة في

زي عربي قديم، وهي تفتح باباً يقرع، ثم يدخل عمر بن

الخطاب).

الشابة: قَدْ أَطَلَّتِ اللَّيْلَةُ الْغَيْبَةُ

مَا خَطْبُكَ؟

أَحْوَالُ الرَّعِيَّةِ

عمر:

الشابة: أَوْ لَا تُبْقِي مِنَ اللَّيْلَةِ لِلْأَهْلِ بَقِيَّةً؟

إِنْ زَوْجِي يَسْعُدُ النَّاسَ

وبقي الزوجة في الليل شقية!
 إن حظي منك حظ الغيم من ومضة برق خلية
 عمر: «أم كلثوم» دعي اللوم
 وأصفي لي بالنفس الرضية
 واذكري أنك زوجي الهاشمية
 بنت خير الناس فقهاً وخصلاً نبوية
 و«علي» لم يزوجني سوى بكر عليه
 تؤثر الناس على النفس
 ولو صارت ضحية
 انهضي أصحك للجنة
 من غير سؤال وجواب
 أم كلثوم: كيف لا أسأل؟



والجنة لا تدخل من غير حساب؟
 عمر: أحضري ما عندنا من قمط المولود
 من رخص الثياب
 من طعام يجعل المرضع بالدروية
 أم كلثوم: ومتى أصبحت الجنة خدراً لمخاض ورضاعة؟
 وهي دار الحور والعين
 فما هذي الإشاعة؟
 عمر: إنني أعطيك كنزاً
 ليس يفنى
 وشقي من أضاعه
 إنه في هذه الدنيا متاع وبضاعه

وهو للأخرى احتساب وثواب
 أسرع
 فالكنز قد يفلت إن أبطأت ساعة
 أم كلثوم (هامسة متسائلة): أسرع!!
 كنز!!
 ثواب!!
 إنه أمر عجاب
 (ثم مصرحة متجهة إلى عمر): يا «أبا حفص»
 دع الألفاز
 لا تسج على قلبي السحاب
 أنا لن أخرج مائه ينقشع هذا الضباب
 أجل لي هذي الأعاجيب الخفية
 عمر: صك سمعي رجع أصوات شجية
 فتعقبت صداها

فإذا الأصوات أنات صبية
 حامل تمخض
 لا قابلة ثم، ولا شكوى تجاب
 أسرع كي تقبليها
 أم كلثوم: الآن قد أسمعني فصل الخطاب
 أم كلثوم (وهي تجمع القمط والثياب في صرة):
 انطلق فالطلق لا يفر للمبطئ مكثاً خلف باب

البشهاد الثالث

(يكشف الستار عن خيمة المشهد الأول، وقد اقترب
 منها عمر وأم كلثوم يحملان صرة وقفة).
 عمر: صاحب الخيمة،
 أقبل ودع الماخض طوع القابلة
 صاحب الخيمة (وهو خارج منها): مرحباً بالضيف
 لا غالتك مثلي غائلة
 عمر: ما الذي غالك؟
 الرجل: نحن بعض السابله
 فوجئت زوجي بالطلق

وكانت خلف رجلي راحلة

فتزلنا ههنا للمخض والوضع

وفتتا القافلة

عمر (متجها إلى أم كلثوم): أدركي الماخض قبل الوضع
أم كلثوم (وهي داخلة): ها أنا ذي أمضي إليها عاجله
الرجل: مرحبا بالضيف

ميمن أنت؟

من هذا البلد

عمر:

من عباد الله

لم ساعدتني؟

الرجل:

أحمي وليداً من نكد

عمر:

الرجل: أنا أحميه

وهل يحتضن المولود إلا من ولد؟

عمر: وإذا ما ضعف الوالد؟

الرجل: يستقوي بعم، أو بجَد

عمر: أنا هذا العم

هذا الجد

هل عوني يرد؟

الرجل: لا، ويجزى ببناء الأهل في الدنيا

وأجر الآجله

عمر: إن للمولود فوق الشكر والأجر حقوقاً لاتحد

والذي يكفلها يكفل للآم وللطفل الرغد

حقه الأول أن يولد حراً

الرجل: وإذا ما ولدته أمة؟

عمر: لم يلق من ذلك ضرراً

هو يعطي بعض حريته الأم

فيفدو الشر خيراً

إنها تدعى به «أم ولد»

وابنها يعصمها أن تشتري أو تسترد

تغتدي زوجاً، وأماً حرة، حتى الأبد

الرجل: قد عرفنا حقه الأول

ما الثاني؟

بقاء الطفل حياً

عمر:

الرجل: هب جاء ابن سفاح!!

وهب الأم بغيًا

عمر:

حقه في العيش يبقى أبدياً

يؤخذ الظالم لا المظلوم بالجرم

ولو طال الأمد

الرجل: وإذا خيف عليه الجوع والإملاق؟

عمر:

دعوى جاهلية

إن روح الطفل من روح الإله الأزلي

والذي يقضي على الطفل كمن يقضي على كل البرية

يتعدى نافع الأرواح في الأشباح

في كل جسد

هو شيطان

على الرحمن والإنسان بالقتل مرد

الرجل: لم لا تجعل هذا القتل إنقاذاً للنفس

من كبد؟

عمر: إنه وأد

ووأد الطفل من كل خطايا الناس آدمي

وأشد

وله في حقه الثالث ما يدفع أخطار المنية

الرجل: ما الذي تعني بهذا الحق؟

عمر: ما يفرض للطفل «عمر»..

من «عطاء» يكفل الطفل

فينجاب الخطر

فلماذا يقتل الطفل؟

وللقوت من الموت وزر؟

الرجل: قيل: لا يفرض ما يفرض إلا لفطيم

وينوب الجوع ما فيها حليم أو رحيم

تقرس الراضع والمفطوم بالعض الأليم

عمر: كان هذا قبل



الرجل: واليوم؟

عمر: عطاء الطفل من يوم الولادة

فمتى جاء إلى دنياه جاءته الرفاة

رفده حق على الحاكم

لا جود ومن من أحد

(تخرج أم كلثوم من الخيمة، مهتلة الوجه).

أم كلثوم: يا أمير المؤمنين

بشر الوالد بالمولود بالكنز الثمين

بغلام مشرق الطلعة وضاح الجبين

الرجل (ناهضاً من مكانه مرتاعاً مما سمع):

أأمير المؤمنين اليوم ضيفي؟

ولساني - قدّه الله -

يجازي لطفه الجم بعنف؟

وأعق الناس من قابل إنصافاً بحيف

عمر: لم تقل إلا الذي حق لمثلي أن يقال

ناصحا لا جارحا

والنصح يجزى بقبول وامثال

وإذا لم أصغ للنصح

فأحكامي ضياع وضلال

عمر (متجهاً إلى أم كلثوم): أخرجي يا «أم كلثوم»

فقلب الأب يشناق الصبي

الرجل (وقد فوجئ مرة أخرى بسماع اسم أم كلثوم):

شرف آخر هل قابلتي بنت «علي»؟

عمر: دَعَكَ من هذا،

كُن الأتقى إذا كنت التقى..

تفضل الأعلام والأغفال

من آل «علي» و«عدي».

الرجل: أنا لا أنكر ما قلت

ولكني بما نلتُ حفي

أنا أزهو بالذي شرّفني منك

ومن آل النبي

عمر: عدّ إلى أهلك والطفل رضي النفس

مقضي الرجاء

ومتى سميت مولودك

فلتأت إلى دار القضاء

وعلى الديوان أن يفرض للطفل «العطاء»

وهو حق لا سخاء

يقتضي منك الثناء

واقتضاء الحق حق رابع للطفل

من رب السماء

الرجل: قلبي المترع بالخوف من اليتيم

هو الآن خلي

أسلم الطفل من العدم

إلى خير وصي

عمر (وهو منصرف والستار يسدل):

قل: إلى من جعل السلطة همًا

فإذا السهل عصي

وإذا الحكم ابتلاءً وبلاءً

و«أبو حفص» شقي

- ستار -